(٦)
فيلا أحلام المصرى

انتقلتْ الخادمة وعد لتخدم في بيت آخر في حي المرعشلي بالزمالك ، وكانت الزمالك في ذلك الوقت لا تزال تحتفظ قليلا برقيها وطبيعتها الأرستقراطية الثرية قبل الزحام والضجيج .. يظهر ذلك جليا في تلك الأسرة الثرية جدا ، والتي لا تعدو أكثر مِن شخصين ، الزوج المهندس صاحب الأربعين عاما ، وصاحب أكبر شركة مِن شركات البترول معتصم شرف الدين ، وصاحب أكبر قرية سياحية بالساحل الشمالى ، وصاحب عقارات أخرى لا حصر لها ، وزوجته الرقيقة مهندسة الديكور أحلام المصري التي تصغره بأكثر مِن خمسة عشر عاما .. يروحان ويجيئان جيئة وذهابا في هذه الفيلا الكبيرة التي تزيد على سبعمائة متر والأشبه بالقصر .. طرقا أبواب الكثير مِن الأطباء في الداخل والخارج مِن أجل الإنجاب فأخبرهم أكثر مِن طبيب بأنه ليس هناك مِن سبب يمنع كل منهما مِن الإنجاب .. خمسة أعوام منذ تزوجا على هذه الحال .

وكانت الخادمة وعد قد تمَّ طردها .. والغريب أنَّ مَن طردها هو الدكتور مالك الأمير نفسه بعد أنْ تأكد مِن العلاقة الآثمة التى دارتْ تكرارا بينها وبين أخيه إياد ، وطرد معها الخادمة الأخرى راضية ، فهي مَن اصطحبتْ وعد إلى هناك ، والأغرب مِن ذلك أنه لم يُطلِّق زوجته حنان حفاظا على طفليه بلال وحبيبة ، أراد لهما أنْ يتربيا في كنف والديْن .. وهو بذلك قد أخطأ خطأ السنين عندما أبقى على حنان ببيته تنخر في جوانبه ، وقد ساءت العلاقة كثيرا جدا بينهما لدرجة لا تُطاق ، كما

ساءت أيضا علاقته بإخوته ، هؤلاء الذين اصطفوا جميعا ضد أخيهم في صف الزوجة الشريرة الطاغية .

ودخلتْ الخادمة الغجرية وعد المحروس البيت الثري الجديد مِن طريقٍ آخرَ غير طريق راضية .. ارتدتْ قناعا ملائكيا ناصع البياض منذ دخلته لتخفي روحها الشيطانية حتى استطاعت أنْ تنال ثقة مدام أحلام .. كانت هي الخادمة الوحيدة في هذه الفيلا الواسعة ، لكن سيدة الفيلا كانت تُضطر أحيانا لاستقدام مَن تساعدها في أوقات العزائم والحفلات .

وبالطبع فإنَّ وعد لا تنسى أبدا حُلْم الثراء ، إنها لا تزالُ تحتفظ بشرها خفيا في داخلها ، ووجدتْ بذكائها أنَّ هذا المكان هو غايتها التي تريدها ، لكنها أرادت أولا أنْ تغرس قدميها في هذا البيت غرسا ماكرا ذكيا يصير مثمرا لها في المستقبل ويدوم مع الدهر وتقلبات الأيام ، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى رسختْ رسوخا يرضيها ، فلتبدأ إذن مرحلة نثر البذور في هذا الجو الممطر بالغفلة والطيبة والثقة العمياء .

بدأتْ الخادمة تنسج خيوط شباكها حول الزوج المهندس معتصم شرف الدين .. تنتهز كلَّ انشغال لزوجته عنه لتقترب خلالها مِن الرجل وتملأ الفراغ الذي تركته ، وما أكثر انشغال الزوجة ! ، إنها رغم ثرائها كانت تحب عملها جدا ، وتقضى وقتا طويلا فيه ، لهذا صارت تُهمِل زوجها كثيرا ، حتى وقتها المتبقي مِن وقت العمل كانت تغرق خلاله في قراءة الروايات والأشعار بمجرد أنْ تدخل حجرة نومها ، وبهذا تركتْ الزوجة الغافلة زوجها الطيب صيدا سهلا ثمينا للخادمة الغجرية .

وكان المهندس معتصم قد انتبه مبكرا لنظرات الخادمة له ، وقد كانت نظراتها ساحرة تحمل شعاعين ، شعاع الجنس مع شعاع الرومانسية ، تُرسِل النظراتِ محملة بأروع ما يكون مِن اللفتات والتنهيدات مع تعبيرات مِن وجهها تؤجج كل ذرة

فى كيان الرجل بنار الشوق لها .. كانت خبيرة في أنْ تنشر نشوة الرغبة في كل خلجات شعوره .. كانت تزلزل جسده زلزلة لا يستطيع أمامها إلا أن يقول لها : (لبيكِ لبيكِ) .

وكانت زوجته أحلام مع ذلك فائقة الجمال ، وكانت رومانسية جدا ، وهو يحب الرومانسية كثيرا ، لكنَّ أسوأ شيء أنْ ينثر الشخص الرومانسي رومانسيته في الخيال أو الحرام مع أنَّ الواقع والحلال أحوج إليها ، وبكل أسفٍ ، فكم مِن كاتبٍ رومانسي ينظم بقلمه أروع الكلمات على ألسنة أبطال رواياته ، لكن لسانه يعجز في الواقع عن أنْ ينطق كلمة منها لأقرب النساء إليه ، زوجته حليلته .

عقد الشيطان اللعين لسان الزوجين الرائعين كزوجين عن بعضهما ، فأهملتْ الزوجة الرومانسية زوجها ، وأهمل الزوج الرومانسي زوجته ، فبرزتْ لهما خادمة الشيطان الشريرة ، وخرجتْ إلى طريق الزوج بلسانها الحلو في الظاهر وقلبها الماكر في الخفاء وعقلها المدبر لكل الشرور لتحول هذا البيت الثري الهادىء إلى حالٍ لا يصدقها عقلٌ بشري .

وكانت ثقة أحلام في زوجها لا حد لها ، لكن وآسفاه ، فكم مِن مواضع ثقة توضع في غير مكانها ! .. كانت تتركه كثيرا بتلك الفيلا الفخمة ذات الأثاث والفراش الأثير مع تلك الخادمة كاملة الأوصاف الجسدية ، ولم يخطر على بالها يوما أنْ يخونها زوجها ، فتسلمته الخادمة وتعهدته .. أكلا سويا على منضدة السفرة المطرزة جوانبها بالذهب الحقيقي ، وشربا سويا أعتق الخمور بأفخم الكؤوس الفرنسية ، وناما سويا بكل أسِرَّة حجرات الفيلا المكيفة .. قبَّلها في كل مكان بجسدها ، واحتضنها حتى اعتصرها واعتصرته ليخرجَ لكل منهما مِن الآخر كلُّ طاقات الجنس المكبوتة .

لقد عاشرها أكثر مِن مرة حتى النهاية حتى جاءته ذات يوم تخبره بأنها حامل ، فقال لها في هدوء :

- وماذا في ذلك؟!

قالت له :

- أنا حامل منكَ

فارتجَّ معتصم في مكانه مذعورا وقال لها :

- مَن أدراكِ أنه أنا؟ .. ربما يكون مِن زوجكِ

- أنا حامل منكَ .. أنا متأكدة

- كيف وزوجتي لم تحملْ مني لسنوات؟

- يا باشمهندس إنَّ الذي في بطني هو ابنك .. عندما يأتي يجب أنْ تعامله كابنك

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنَّ ابنك له عليك حقوق .. لن يكون أبوه بهذا الغنى ثم أربيه مع أولاد المتسولين

- هل أصابكِ الجنون يا وعد؟

- بل أصابني حبك حتى حملتُ منكَ

- أنا لا أصدق ما تقولين .. ولا تتحدثي عن الحب .. نعرف سويا أنَّ ما بيننا ليس حبا

وفكرت وعد قليلا ثم قالت :

- عموما .. سننتظر حتى أضع الطفل .. وسنرى إنْ كان يشبهكَ أم لا لتتأكد أنه ابنك

- ولماذا تنتظري لتضعيه؟ .. يمكنكِ أنْ تقومي بعملية إجهاض .. لي صديق طبيب .....

- لن أعمل عملية إجهاض يا باشمهندس .. سوف أكمل حملي

وشعر المهندس معتصم شرف الدين بفجيعة كبرى ، وتعقَّدتْ حياته ، وبدأ يشعر بالخطر الكبير على سمعته ومكانته عند زوجته وأخيه وأخته ومعارفه ، وبدأ يشعر بكيد تلك الخادمة ، وظلَّ لا يصدق أنَّ مَن في بطنها ابنه حتى فاجأته زوجته أحلام بعد هذا اليوم بأسبوع أنها أيضا حامل .

وبالطبع كانت فرحته لا حد لها بحمل زوجته أحلام ، وكان همه وقلقه إلى جوار ذلك لا حد لهما بحمل خادمته وعد ، فقد بدأ يميل كثيرا إلى أنها صادقة ، فكانت حيرته لذلك شديدة .

أما الخادمة وعد فقد كانت على يقين كبير مِن أنَّ مَن في بطنها منه وليس مِن سالم ، وهي رغم شدة شرها وكذبها لم تكذب في ذلك ، فسالم لم يعاشرها منذ فترة ، ثم إنها تشك دائما في قدرة زوجها سالم على الإنجاب ، وإنها كانت دائما تشك في كذب صباح زوجة سالم الثانية .. إنها لم تصدق يوما أنَّ تلك البنت التي أنجبتها صباح لسالم ابنته ، وهي دائما تتعامل مع صباح على أنها خائنة لسالم وابنتها مِن حرام ، لكنها تعمدتْ ألا تُظهر لها أي شيء مِن شكوكها إلا في اللحظة المناسبة .

وعلمتْ وعد أنَّ مدام أحلام حامل ، ففرحتْ لذلك كثيرا فرحةً تفوق فرحة الزوجين ، إذن فالمهندس معتصم قد صار قادرا على الإنجاب ، وما جعل زوجته الحلال أحلام حاملا منه هو ما جعل خادمته وعد حاملا منه أيضا . وإن كانت في الحرام ، إنه بذلك سيصير أقرب كثيرا لأنْ يصدق أنَّ حمل وعد منه لا مِن زوجها ،

وبالفعل فقد تحدثتْ له وعد في ذلك ذات يومٍ بينما كانت زوجته المهندسة الشابة المخدوعة خارج الفيلا .. قالت له :

- أظنكَ الآن قد صدَّقتَ أنَّ مَن في بطني منكَ

ورغم بقايا مِن الشك وكثير مِن القلق راح يقول لها :

- نعم أنا أصدقك

- إذن كيف سنتصرف؟ .. كيف ستؤمن حياة ومستقبل ابنك؟

نظر لها المهندس ، وظلَّ لوقتٍ طويلٍ يفكر ثم قال :

- لا تقلقي .. فإنْ جاء ووجدته يشبهني وشعرت أنه ابني سأجري تحليلا معينا لأتأكد مِن أني أبوه .. ثم سأكتب له مِن ثروتي ما يؤمن له مستقبله

وهنا غمرتْ السعادة وجه وعد ، وارتمتْ عليه تقبله وتحتضنه ، ثم أخذت بيده واتجهتْ ناحية إحدى الحجرات بالفيلا ، وخلعتْ أمامه كامل ملابسها ، ثم نزعت ملابسه قطعة قطعة وهي تنظر فى عينيه نظرات إثارة تجيدها كثيرا ، وغاصا فى بحر الحرام الذي عرفاه معا .

وشعرتْ وعد بعد ذلك أنها اقتربتْ كثيرا مِن تحقيق طموحها ، فراحت تفكر فيما يمكن أنْ يكتبه المهندس لابنها منه .. إنه يمتلك أموالا وأملاكا كثيرة ، وهو يمتلكها وحده رغم أنَّ له أخا وأختا أكبر منه ، لا يمتلكان ربع ما يملكه ، لذلك فإنهما دائما طامعان فيه ، وقد أحزنهما كثيرا إلى درجة كبيرة لا توصف أنْ صارت زوجته أحلام حاملا .

(فيا لحظكِ السعيد يا وعد! .. ستكون الغجرية وعد صاحبة أموالٍ وأملاك ، لكن لا يجب أنْ يستحوذ ابن أحلام على أكثر مِن ابنك .. هذا أبوه معتصم شرف الدين ، وهذا أبوه معتصم شرف الدين .. لكن طفلي صاحب الحظ الجميل

الواعد بأي اسم أب سيُكتب؟ .. بالطبعِ سيُكتَب باسم سالم .. لا يصح أنْ يكتبه المهندس معتصم باسمه .. إنني متزوجة مِن سالم .. لكن هل مِن مصلحتي أن تعرف أحلام؟ .. بالطبع لا .. إنَّ كل عائلتها مقامات عالية وأشخاص بكلمة منهم يرمون بي وراء الشمس الحارقة .. إذن ليظل الأمر سرا بيني وبين عشيقي معتصم حتى أرى ما سيفعله ثم أقرر .. فربما أقذف بهم أنا وراء الشمس أو أخفيهم تحت التراب)

كانت تلك تساؤلات الخادمة وعد داخل نفسها .. لم تترك كبيرة أو صغيرة إلا وفكرتْ فيها ، وحسبتْ لكل شيء ألف حساب ، ورغم يقينها فكرتْ في أنْ يكون هناك احتمال ولو بنسبة ضعيفة جدا أنْ يكون مَن في بطنها ابن سالم ، فأفزعها هذا الاحتمال في البداية ، ثم قالت لنفسها : فليكن ابن سالم .. لا يهم ذلك .. المهم أنْ يُلْصَق المولود بالمهندس الثري ، لكن ما ظلَّ يُفزعها حقا هو أنَّ المهندس الثري أخبرها أنه سيجري تحليلا ليتأكد مِن كون الطفل ابنه ، ولم يَطُلْ تفكيرها حتى اهتدتْ لتدبير شر مُحكَم يُخْرِجها مِن مخاوفها ، وإنْ كان تحقيق بعض جوانبه صعبا .

رأتْ الغجرية وعد أنه مِن السهل لديها أنْ تُقنع المهندسَ معتصم بأنْ يجعلها تلد طفلها في نفس المكان الذي ستلد فيه زوجته أحلام ، وإنه ليفعل ذلك خدمة لها لأنها خادمتهما الأمينة الوفية ، ومِن المحتمل أنْ تلد أحلام طفلها أيضا في نفس الأسبوع ، فلتخطط لكل شيء بمساعدة أمها أو حتى صباح لتبديل الطفلين .. تأخذ هي ابن أحلام ليُجري عليه أبوه المهندس ما يشاء مِن تحاليل ستثبت قطعا أنه ابنه ومِن صلبه ، ولتأخذ أحلام طفل وعد ليعيش في النعيم الذي سيبدأ بمولده دون

أنْ ينتهي ، ويوما ما بعد أنْ يرث الأموال والأملاك التي لا آخر لها تخبره أنها أمه الحقيقية ، وتغرق معه في النعيم .. يا إلهي! .. إنه حقا والله تدبيرٌ عبقري لا يخرج إلا مِن امرأة غجرية شيطانة كأنها مِن جهنم .

لكنَّ الطبَّ الآنَ تقدم ، وصار الناس يعرفون نوع الجنين ذكرا أم أنثى قبل الولادة بشهور .. وما المشكلة في ذلك؟ .. لقد وجدتْ الشيطانة وعد الحلَّ لذلك أيضا .. ستنتظر حتى تُعْلِن المهندسة أحلام عن نوع جنينها لتُعْلِن بعدها أنَّ جنينها هو نفس النوع ولدا كان أم بنتا ، لكن إنْ حدث وكان نوع الجنينيْن مختلفا ، فمِن السهل وقتها أنْ تجد مخرجا لذلك .

فيا لكيد تلك الخادمة! .. لم تترك شيئا للصدفة .. إنها تعلم أنَّ الضربة ضربتها ، إما أنْ تضربها ضربا موجها دقيقا حاسما صائبا فتجني الكثير ، وإما أنْ تخيب فتخسر كل شيء لتبدأ مِن جديد ، حتى أنها فكرتْ في أنَّ المهندس الثري لا شك الآن يعيش في قلقٍ شديدٍ خوفا مِن أنْ يفتضح أمره بين أسرته ومعارفه الأثرياء ، وقد يقوده قلقه هذا إلى التفكير في التخلص منها بمَن في بطنها ليمحو عاره ويجتث جذور فضيحته قبل أنْ تجتثه .. تعرفُ أنه قد يفكر في قتلها ، لذلك فقد انتهتْ كثيرا لذلك .. حتى أنها قد امتنعتْ عن الاختلاء به إلا بحساب .

وكان المهندس الثري قد أعدَّ لقتل عشيقته الخادمة الغجرية بالفعل ، فكلَّف مسعود سائقه الخاص المخلص له غاية الإخلاص أنْ يستأجر سيارة ويدهسها بالطريق ، وليجعل الأمر يبدو كما لو كان حادثا عابرا ، وبهذا ينتهي كل شيء يقلقه .

وبينما كانت وعد الخادمة تمشي بجانب الطريق لتصل مِن شارع الفيلا إلى شارع عمومي ، جاءت مِن خلفها سيارة مسرعة ، تعمَّد مسعود أنْ يدهسها دهسا قاتلا ، لكن صدر عنها فجأة التفاتة لا إرادية ، فرأتْ السيارة المسرعة فصعدتْ

فوق الرصيف في سرعةٍ وخفةٍ وارتمتْ جانبا .. اصطدمتْ السيارة بالرصيف ثم بشجرة حطَّمتْ مقدمتها وتحطَّمتْ عظام السائق دون أنْ تُصاب الخادمة بأذى .

قالت الماكرة وعد للمهندس معتصم عندما عادت إلى الفيلا سالمة :

- ابنكَ الذي في بطني نجا مِن الموت اليوم بأعجوبة

نظر لها المهندس وتظاهر بالانشغال في تقليب كوب الشاي :

- ماذا حدث؟

- مجرد حادث

- أي حادث؟

- سيارة طائشة يقودها شخص أعمى القلب والبصر.. كان سيدهسني

فقال المهندس متظاهرا بالود :

- أريدك أنْ تحذري على نفسك يا وعد .. دائما امشي على الرصيف

- هل تخاف عليَّ أم على ابنك؟

- هل هذا سؤال؟ .. بالطبع أخاف عليكِ .. وأخاف على الطفل

- أتمنى ذلك

وجلستْ وعد بجواره ، واقتربتْ منه ، وراحت تعبث ببقايا شعره فوق مقدمة رأسه .. قالت :

- أرجو أنْ يشبهكَ طفلنا كثيرا لأظل أنظر له في كل وقت كأنني أنظر لكَ

فنظر لها وقال مبتسما :

- هل معنى ذلك أنكِ تحبينني يا وعد؟ .. أنا أظنُّ أنَّ ما بيننا مجرد .....

فضحكتْ وعد ضحكة خفيفة وقالت كاذبة :

- بالطبع أحبُّكَ يا معتصم .. وإلا فلماذا فعلتُ معكَ ما فعلت لدرجة أنْ أحمل منكَ؟

- لا أعرف

- لكني أعرف أنكَ نادم كثيرا .. لكن اطمئن فقد هانت .. خمسة أشهر وأضع لكَ طفلك ثم تتأكد أنه منك .. ثم تكتب له مِن أملاكك ما يؤمن مستقبله .. ثم آخذه ونختفي مِن حياتك للأبد

- فعلا أتمنى أنْ ينتهي كل شيء سريعا سريعا على خير دون أنْ يعلم أحد

وكانت الزوجة المسكينة أحلام تعيش حياتها الرومانسية الحالمة وحدها مع طفلها القادم ، فرحتْ كثيرا لحملها ، وبدأت أكثر تقربا لزوجها ، بل زاد حبها للخادمة وعد كثيرا .. ترى فيها وجه الخير ، فقد كان قدومها إلى الفيلا للخدمة قدوما سعيدا عليها ، إذ حملتْ بعد سنواتٍ وحرمانٍ مِن نعمة الأطفال ، وصارت تنتظر بشغفٍ اليوم الذي تحمل فيه فلذة كبدها بين يديها .. هيأتْ له كل شيء ، وهيأتْ أيضا للحامل الأخرى معها الكثير ، لدرجة أنها كانت تأخذها معها لمتابعة حملها عند نفس الطبيب .

وبالطبع أقلق ذلك وعد ، فكيف ستكذب بشأن نوع مَن في بطنها ليكون كمَن في بطن أحلام ، لكن قلقها لم يَطُلْ ، فسرعان ما جاءت البشائر مِن الطبيب تعلن أنَّ مَن في بطن أحلام ولد ، ومَن في بطن وعد ولد .. فيا لجمال تلك البشائر التي هبَّتْ على سمع الخادمة وعد!.. ويا لسعادة تلك الشيطانة الغجرية التي جاءت مِن جهنم بكل شرومكر! .. ويا لسوء ما ينتظره هذا البيت الهانيء السعيد!